

نحو ضبط مصطلحات متخصصة في مجال التراث الشعبي

د/نبيلة بلعبيدي

[n\\_belabdi@yahoo.fr](mailto:n_belabdi@yahoo.fr)

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف -

### الملخص:

إن حاجتنا ماسة إلى ضبط لغة علمية متخصصة في مجال البحث الأكاديمي، والسبب في ذلك هو تضارب المصطلحات وتداخلها، فكيف يمكن لنا أن نحدد لغة صحيحة نتعامل بها في بحوثنا المتخصصة في مجال معين؟ وعلى أي أساس يمكن ضبطها؟

الكلمات المفتاحية: حكاية. قصص. أدب شفوي. تراث شعبي. ملحون. زجل. شعر شعبي. أدب شعبي.

### Resumé

Les académiciens spécialistes dans les études du patrimoine culturel populaire ont une langue différente et utilisent beaucoup de termes sans trouver une langue commune spécialisée.

Dans cette conférence; on va citer plusieurs termes, puis critiquer leur contenu, et enfin donner notre propre opinion afin de trouver une langue exacte.

اخترت مجال التراث الشعبي موضوعا لمداخلتي باعتباره مجالاً خصباً وجديداً فلطالما كان محل جدال وتضارب في الآراء، وكل باحث متخصص في هذا المجال له رأي ووجهة نظر من زاوية خاصة به، إذ يقول مفلح بكر محمد: "إذ نُدّر أن مر مصطلح علمي يمثل ما مر به مصطلح التراث الشعبي من تباين في وجهات النظر، وتضارب في المفاهيم والتفسيرات، واضطراب في الدلالة، جعلته كلها محل جدل مستمر، وخلافات لا منتهية بين الباحثين منذ نشأته قبل قرن ونصف"<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> مفلح بكر محمد، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة 2009، ص 53.

ولهذا السبب نجد لغة غير مضبوطة فيها كثرة المصطلحات الدالة على التراث الشعبي في الجزائر والعالم العربي ومن أسباب ذلك أن التخصص فتي مقارنة بالتخصصات الأخرى، خصوصا أن هذا المجال يرمي بأطرافه إلى علوم أخرى كالفلسفة وعلم الاجتماع والأدب والأنثروبولوجيا... الخ

وبالتالي نريد أن نصل إلى لغة موحدة في مجال التراث الشعبي ونتفق عليها نحن المتخصصون في اللغة والأدب، ومن شروط الوصول إلى نتيجة مقنعة هي تحري الموضوعية وعدم التعصب لرأي شخصي ينبع من ميل ذاتي.

ما لفت انتباهي هو عناوين بعض المؤلفات لأساتذة متخصصين في الأدب الشعبي مثل ما نجد عند الدكتور عبد الحميد بورايو:

الحكاية الخرافية للمغرب العربي.

القصص الشعبي في منطقة بسكرة.

البطل الملحمي والبطللة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري.

قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية لنبيلة إبراهيم.

نجد ثلاثة مصطلحات دالة على سياق واحد، فالقصص الشعبي والحكاية الخرافية والأدب الشفوي دالة على النثر الشعبي المتمثل في الحكاية الشعبية بأنواعها سواء أكان فيها خيال وخوارق وتسمى حينئذ الحكاية الخرافية أم كانت أحداثها واقعية.

ولطالما حاول المتخصصون في مجال التراث الشعبي ضبط المصطلحات والتعامل بلغة متخصصة متفق عليها، وهاهو الدكتور العربي دحو يطرح مجموعة من التساؤلات في إحدى حواراته قائلا: "ما هو الأدب الشعبي؟ هل حددناه؟ هل هو الفولكلور أو الثقافة الشعبية أو الأدب بشكل كلي بما هو شعبي ورسعي؟

ما هو هذا الأدب الشعبي الذي نتحدث عنه؟ ما فائدته؟ كيف نحصل عليه؟ كيف ننشره فالناس؟ ثم يجيب: أما الأدب الشعبي فهو مصطلح فضفاض غير مدقق لحد الآن والسبب لأن هذا الأدب أو الثقافة الشعبية لم يهتم بهما عندنا في الجزائر وعند العرب إلا في العصر الحديث فقد دخل الجامعة الجزائرية سنة 1970، والتحديد الدقيق لمفهوم ما هو شعبي يثير إشكالا، نسميه شعبي على أي أساس؟

هل من كتبه شعبي؟ أو من يسمعه شعبي؟ أو لغته شعبية؟ من أين لنا بهذا المصطلح؟ هل هو جديد في الثقافة الجزائرية<sup>(2)</sup>

تتهي هذه التساؤلات الكثيرة للدكتور العربي دحو إلى رغبة هذا الباحث في التراث الشعبي الجزائري في تبني لغة متخصصة سليمة متفق عليها في هذا المجال من ذوي التخصص والخروج برأي مقنع.

وسوف أقدم مجموعة من المصطلحات دالة على التراث الشعبي مع تقديم نقد موضوعي لها للخروج بمصطلح موحد يهدي إلى وضع متخصصة يتعامل بها جميع المتخصصون في هذا المجال.

ففي مجال الشعر مثلا نجد مصطلحات متباينة متداولة للتعبير عن هذا الإبداع الشعري الذي يقال باللغة الدارجة، فمثلا لفظة الملحون تبناها عدد من الباحثين الذين يميزون بين ماهو فصيح وماهو عامي، وهم يقصدون باللحن اللغوي، ونجد هذا اللفظ شائع بين جمهور الشعراء والباحثين، وعلى رأي محمد المرزوقي: "وصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي فقد ينصرف معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته وقد ينصرف إلى نسبته للعامية، فكان وصفه بالملحون مبعدا له من هذه الاحتمالات من هذه الاحتمالات"<sup>(3)</sup>، إذن هو يفضل مصطلح الشعر الملحون على مصطلح الشعر العامي كون العامية هي الابتعاد الكبير عن الفصحى، والملحون هو تكسير اللغة وعدم احترام قواعد الإعراب.

يضم عبد الله الركبي رأيه إلى رأي المرزوقي مفضلا مصطلح الملحون على مصطلح الشعبي أو العامي، وترجع قناعته إلى اعتماده على الأشعار الدينية التي قبلت بلغة فصيحة خالية من الإعراب وأصحابها معروفون حيث عنيت البيئة الأدبية في المغرب العربي بدراسة هذا الشعر<sup>(4)</sup>

وأما عن عدم تبنيه مصطلح "الشعبي" يقول موضحا موقفه وهو أن " إطلاق صفة الشعبي عليه صفة الشعبي قد يوحي بأنه مجهول المؤلف، والشائع أن صفة الشعبية في الأدب تنصرف إلى ماله عراقية وقدم وإلى ما يعبر عن روح جماعية بالكلمة بحيث يصبح هذا الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب عامة وعن قضاياه دون اهتمام بالقائل إذ ينصب اهتمام المتلقي على النص وحده"<sup>(5)</sup> فالإشكال هنا يتمركز حول اللغة المستعملة في هذا الإبداع الأدبي، وفي ماهية لفظة "شعبي" إذ نجد القواميس تعرفها تعريفات

<sup>2</sup><http://www.youtube.com/watch?v=BjTZLyGIXHY>

<sup>3</sup> حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، منشورات اقرأ، وزارة الثقافة 2009، ص 53

<sup>4</sup> ينظر: عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1981، ص 51.

<sup>5</sup> المرجع نفسه والصفحة نفسها.

مستفيضة من بينها ما جاء في قاموس روبر الصغير في تعريف كلمة "الشعبية" أنها: "ملك للشعب. من نتاج الشعب، ولا تستعمل أبدا في الأوساط البورجوازية وعند الناس المثقفين" أمر يتوجه إلى الشعب"<sup>(6)</sup>.

معنى هذا كل ما ينتجه الشعب ويتوجه له ومن إنتاجه فهو شعبي، وإن إنتاجه فهو شعبي، وأن الطبقة البورجوازية والمثقفة لا تستعمل هذا المصطلح، إلا أن عبد الله الركيبي يجيز استعمال مصطلح "الشعر الشعبي" في حالة واحدة عندما يكون أصحابه مجهولون وأشعارهم تشيع بين الناس فيهتمون بالنصوص دون أصحابها<sup>(7)</sup>، كما يرفض مصطلح الأدب العامي أو الشعر العامي لأن العامية حسب رأيه "قد توحى بأن قائله أمي لا معرفة له باللغة والقراءة أو الكتابة، وقد توحى أيضا بأن المتلقي من الأميين، وبأن هذا الشعر لا صلة له بالفصحى لا من قريب ولا من بعيد"

وإذا حاولنا إعطاء رأينا فيما يخص مصطلح "ملحون" فإننا نراه غير مناسب لأنه ينفي عن هذا الشعر الفنية والجمالية والإبداعية ويقرنه باللحن اللغوي أو الخطأ فقط ، وكأننا نقول الشعر الذي به أخطاء، والأجدر أن نطلق عليه مصطلح "الشعر الشعبي" فالشاعر فرد من عامة الشعب قد يكون متواضع أو عالي التعلم والثقافة لكن موهبته أهله لأن يقول شعرا ذا وزن وإيقاع باللغة العربية الدارجة وهي ليست عامية ملحونة إنما فصحي راعت البساطة ، أجاد بها تصويرا وغذاها بصدق العاطفة وجودة التصوير، ولم تلق على النخبة والصفوة مثلما هو الشأن بالنسبة للشعر الفصيح ، إنما وُجّهت إلى كافة أفراد الشعب على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم ومستوياتهم بلغة الشعب التي يتداولها لكن بمستوى أرق ، لتحدث الإعجاب والتأثير وتلقى هوى في نفوس المتلقين وتتسلل إلى القلوب دون استئذان ، فمن حق ذوي المواهب إن لم يجيدوا الفصحى الإبداع باللغة التي يجيدونها، ومن المعلوم أن العامية والفصحى متلازمان منذ عصور طويلة ، وأن يكون لعامة الناس أدبا مهذب الألفاظ والصور يجيدونه على حسب مستوياتهم الفكرية والثقافية خيرا من أن لا يكون لهم أدبا يمارسونه فالتراث الشعبي ولا سيما الشعر وجه الأمة ومقياس تحضرها .

ثمة مصطلح آخر يتداول بين المختصين في دراسة التراث الشعبي وهو "الزجل" الذي هو تقليد للموشح ولكنه مكتوب بلهجة العوام إذ يبدي عباس الجراري رأيه بقوله "فإننا ندعو بفضل إطلاق الزجل على كل أنواع الشعر الشعبي المغربي وندعو إلى هذه التسمية بدلا من تسمية أخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع والانتشار"<sup>(8)</sup>

<sup>6</sup>LE PETIT ROBERT ,5<sup>eme</sup> édition ,2<sup>eme</sup> trimestre,1970,p1347.

<sup>7</sup>ينظر:عبد الله الركيبي، المرجع نفسه، ص364.

<sup>8</sup>المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وأما التلي بن شيخ له رأي في عدم الوصول إلى لغة مضبوطة في مجال التراث الشعبي هو عدم الاتفاق على مفهوم "الشعبية" قائلًا: "وبالرغم من أن الباحثين في الأدب الشعبي يستخدمون تعبير الطبقات الشعبية، مثلما يطلقون تسمية الأدب الشعبي على الإبداعات الشعبية كمسلمات أو بديهيات، فإنهم لا يتفقون عند الحديث عن الشعر الشعبي" ثم يضيف: "كما أن كلمة ملحون قد أطلقها البعض على الشعر دون النثر مع أن اللحن من خصائص الأدب الشعبي شعرا ونثرا بالإضافة إلى أن اللحن يشمل كل أنواع التعبير الشعبي"<sup>(9)</sup>

والشعبية لها دلالة خاطئة في قاموس اللغة اليومية فهي تعني كل ما هو في أدنى المراتب، ومنه مصطلح حي شعبي الذي أخذ دلالة حي غير راق أو فقير أو دون المستوى، وهذا عكس ما يرى التلي بن شيخ من أن الشعبية تعبر عن هموم ومشاكل الطبقات الشعبية قائلًا: "إن ارتباط النص بقائله ليس مهما، ولكن الأهم أن يعبر عن خلجات النفوس وصبوات الروح، بحيث يجد فيه المتلقي ما يصور أحاسيسه وعواطفه الشعبية ظاهرة اجتماعية وثقافية تتغير بظروف المجتمع وتكسب مكوناتها من واقع الحياة"<sup>(10)</sup> وعليه يتبنى التلي بن شيخ مصطلح الأدب الشعبي والشعر الشعبي لأن هذا الإبداع نابع من مختلف الطبقات ويعبر عن الهموم والآمال التي يصبو إليها الشعب بمختلف فئاته

نؤيد هذا الرأي الأخير شريطة أن نطهر أذهاننا من الفهم الخاطئ لمصطلح "الشعب" و"الشعبية" المرتبط عند البعض بالمرجعية الإيديولوجية، أو أدنى طبقات المجتمع، فعند قولنا "أدب" فهو الشعر والنثر، وأما قولنا "شعبي" أي شارك في تأليفه عامة الناس بلغة فصحي مبسطة، وهو يتناول مختلف الموضوعات التي تمس كل المجتمع وليس فئة دون أخرى، وقد يعرف صاحبه وقد لا يعرف، وهو أنسب من قولنا "ثقافة شعبية" لأنها تشمل الثقافة المادية واللامادية، ونحن ندرس للطلبة أشكال التعبير الشعبي وليس الثقافة الشعبية.

ويعطي الدكتور حسين نصار رأيه في مصطلح "أدب شعبي" قائلًا: "لا خفاء في أن هذا المصطلح عربي، أي مؤلف من ألفاظ عربية خالصة ولكنه بالرغم من ذلك لم يلفظ به عرب الجاهلية ولا صدر الإسلام ولا عرب الأمويين أو العباسيين أو ماشئت من العصور، وإنما ابتكرناه نحن عرب العصر الحديث"<sup>(11)</sup>

<sup>9</sup> عباس الجراري، الزجل في المغرب، مطبعة الأمنية المغرب، ط1، 1970، ص54.

<sup>10</sup> التلي بن شيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص346.

<sup>11</sup> المرجع السابق والصفحة نفسها.

ومع ذلك يلقي هذا التخصص يشككون في أدبيته وفنيته ونحن نقدم لهم ما قاله عبد القاهر الجرجاني محددا مفهوم البلاغة بأنها: "وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيها ثم تبرجها في صورة أبيه وأزين، وأنقى وأعجب، وأحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر في ميل القلوب"<sup>(12)</sup>

معنى هذا أن اللهجة بألفاظها قد تتسم بالبلاغة إذا بلغ المتكلم ما يريد من نفس المخاطب بإقناعه عقليا ووجدانيا، وأن يطابق الكلام المعنى، فلا شك أن ما يدفع الباحثين إلى دراسة التعبير الأدبي الشعبي هو اعتقادهم الجازم بأن لغته لا تختلف في فنيته وجماليتها عن الفصحى إذا استوعبت الشروط السابقة الذكر، وحينئذ لن يؤثر إهمال القواعد اللغوية حين يبلغ هذا التعبير مبلغه وهو التأثير والإقناع ونيل الإعجاب والتقدير، فهو لا يخلو ولا يختلف عن فنية وجمالية العبير الأدبي الفصيح، رغم أنه من إنتاج كل الطبقات الشعبية دون استثناء بمختلف مستوياتها الثقافية، وهو غير خاص بالأميين والفقراء في المجتمع، فعلينا أن نقتنع بهذه المفاهيم، ونزاع من أذهاننا كل ما يشوب ويشوه هذا الأدب.<sup>13</sup>

<sup>12</sup> حسين نصار، المرجع السابق، ص 10.

<sup>13</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، موفم للنشر، الجزائر، 1991، ص 57